مشكلة الأقليات الدينية في مصر

لا يكون العيش معاً دوما امرا سهلا. فبعد ١٤ قرناً من التعايش، يشعر كل من الاغلبية المسلمة و الاقلية المسيحية الى حد بعيد بهذا الشيء. و مع ذلك فقد دهشت كلتا الجاليتين للمشاعر التي عمت البلد بعد نزاع بشأن زواج بسيط في مدينة (ابو المتامير) الكالحة على الدلتا ، ١٤٥ كم شمال القاهرة. بدأت المشكلة عندما طلبت زوجة كاهن قبطي محلي الطلاق. وبعد ان اخبرتها كنيستها بأنها لا يمكنها الحصول عليه، برغم حقيقة ان زوجها الذي يسيء معاملتها قد فقد كلتا ساقيه بسبب داء السكري، هددت وفاء قسطنطين ٤٧ سنة، باعتناقها الاسلام. بعدها اختفت.

انتشرت شائعة تفيد بأنها قد سقطت ضحية موجة افتراضية من الاكراه على تغيير المعتقدات. وصل الهرج و المرج الى ذروته في التظاهرات العنيفة في بداية كانون الاول في كاتدرائية القاهرة و مغادرة البابا شنورا III، رئيس الكنيسة القبطية منفاه الاختياري، ٣٣ سنة، في دير صحراوي. عاد الهدوء، والبابا الى شوارع القاهرة و قالت قوات الامن إن السيدة قسطنطين قد عادت ايضا الى الكنيسة، حيث تتمتع الان برعاية الراهبات. و مع ذلك فقد فتحت القضية سلسلة من المواضيع الحساسة، ابتداء من مزاعم الاقباط بوجود تمييز، الى المطالبات من داخل الكنيسة بالاصلاح ، بضمنها وضع حد لتحريمها الصارم للطلاق. بوجود ما يقرب من ١٠ ملايين تابع، معظمهم في مصر، فان الكنيسة القبطية الارثوذوكسية هي الاكبر في الشرق الاوسط. ان الحضور القوي للكنيسة و الانبعاث الدرامي للاعتكاف الصومعي شاهد على حيويتها. و مع ذلك فان الكنيسة قد عانت اشتباكات طائفية متقطعة. و ان واكبت المسيحية القبطية تصاعد الحماسة بين المسلمين المصريين، الا انها قد بقيت محافظة ومتمسكة بشكل صلب بتراثها.

في السنوات الاخيرة نجحت الكنيسة، مسنودة من قبل اصوات المهاجرين في الغرب، باحتكار خدمات البث في التلفزيون الرسمي. و نجحت في استعادة الاملاك التي صودرت في اثناء برنامج الاصلاح الزراعي في الخمسينيات. فقد خفت حدة النزاعات الطائفية المتقطعة و الدموية منذ ان سحقت الحكومة التمرد الاسلامي في التسعينيات. إلاّ ان الاقباط مازالوا يتظلمون من انهم محرومون سياسيا و عرضة الى التمييز التافه. يميل المسلمون الى استبعاد مثل هذه المضايقات، منوهين الى النجاح الذي حققه بعض كبار رجال الاعمال من الاقباط، و الى حقيقة ان اغلب المسلمين بعيدون ايضا عن السياسة المصرية غير الديمقراطية. ان التمييز يصيب المسلمين ايضا، كالاقلية الصغيرة من الشيعة، و الاسلاميين الذين يحاولون التحايل على التحريم القانوني للاحزاب السياسية التي تبنى على اساس ديني. اضافة الى ذلك، يعترف حتى بعض الاقباط بان الضجة التي اثيرت حول السيدة قسطنطين هي نوع من التضليل الذي صمم لاخفاء التوترات الحقيقية داخل الكنيسة. مثل مشكلات الزواج، و تلك التوترات معروفة جيدا بالنسبة للمصريين: مواضيع الاصلاح، الليبرالية و الخلافة. يبلغ البابا شنودة ٨١ عاما، أي اكبر من الرئيس المصري حسني مبارك بخمس سنوات.

ترجمة : فاروق السعد
عن : الايكونومست

طبق الاصل

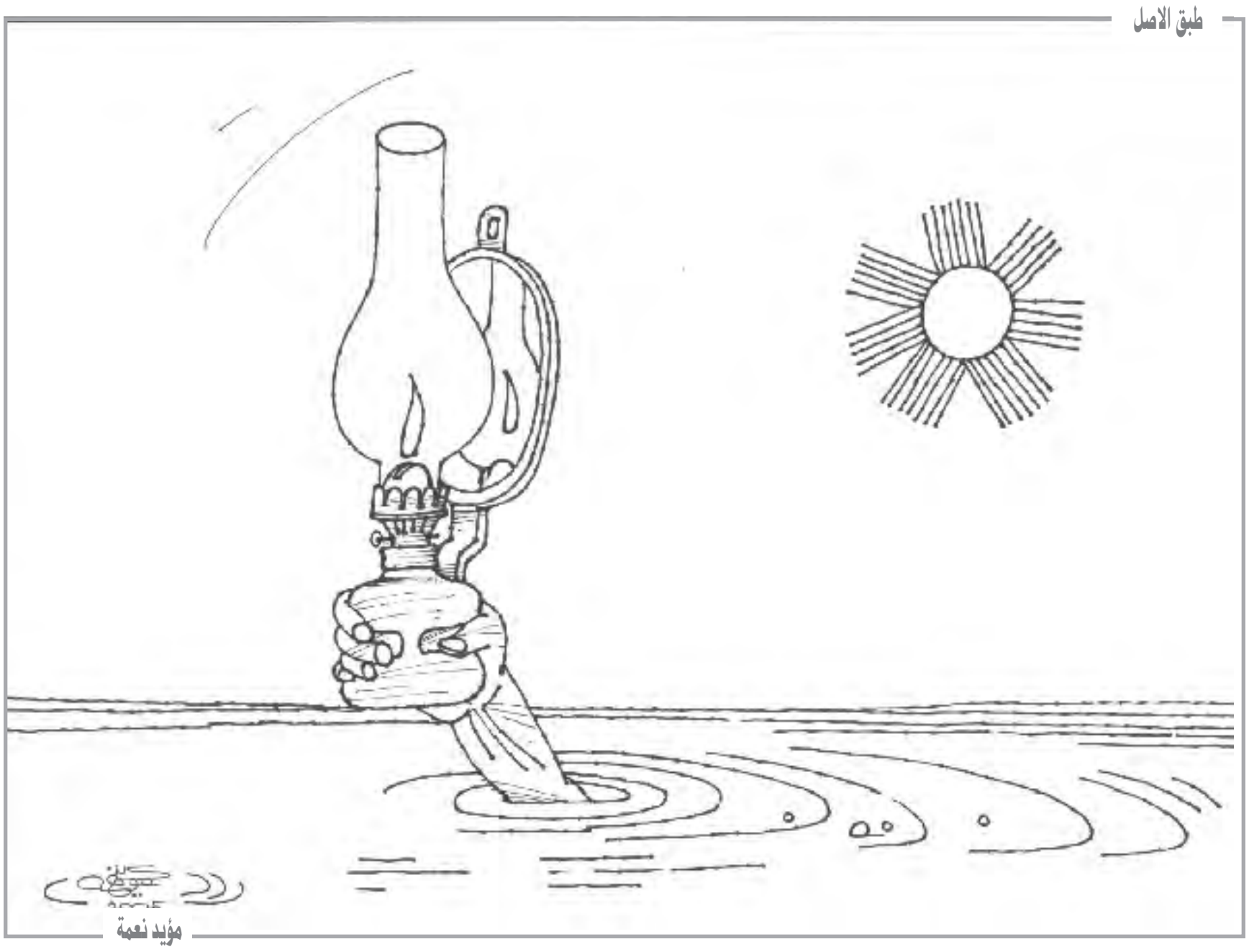

مؤيد نعمة

نص تقرير مركز الدراسات الستراتيجية والدولية في واشنطن حول العنف في العراق

(٤-٦)

التمرد والاعمال المسلحة في العراق

الوضع عند نهاية عام ٢٠٠٤

بقلم : انتوني كوردسمان
ترجمة : زهير رضوان

الطبيعة النشوئية للتمرد

ان مستوى التهديد الحالي في العراق حقيقي الى درجة غير مقبولة، ومن الواضح ان زعم الحكومة العراقية المؤقتة بان ١٦ محافظة في العراق آمنة هو زعم غير صحيح. هنالك مستوى من الامن في ١٢ محافظة، كما حققت القوات الامريكية وقوات الحرس الوطني العراقي انتصارات مهمة في النجف والفلوجة. وفي اغلب المناطق التي ينشط فيها المتمردون، ولهم فيها تأثير محلي ملحوظ، يكون السكان منقسمين ، ومع ذلك فان هذه المناطق لا تعد خاضعة لسيطرة المتمردين . الاكثر من ذلك، إذا نظرنا الى مجموع سكان المدن المتناثرة والمناطق حيث يهيمن المتمردون، فان عدد السكان لا يزيد عن ٦-٩٪ من مجموع سكان العراق.

ان معركة الفلوجة في تشرين الثاني ٢٠٠٤ تعتبر مثالاً يستوقف الانتباه للنصر التكتيكي. لقد ذكر انها ادت الى مقتل ١٢٠٠ متمرد والى اعتقال قرابة ٢٠٠٠، وكلفت القوات الامريكية ٥٤ قتيلاً وثمانية من القوات العراقية. تبقى الفلوجة مدينة مضطربة، ولايزال المتمردون ناشطين في بعض انحاء الفلوجة وان على مستويات منخفضة، لكن خسارتهم المدينة قد حرمت المتمردين والجماعات الإرهابية معقلهم وملاذهم الوحيد داخل العراق.

في الوقت نفسه، لايمكن للحكومة العراقية والولايات المتحدة الادعاء بانهما تسيران قدماً باتجاه النصر. لقد انخفض عدد الحوادث بعض الشيء منذ هجوم الفلوجة، لكن هجمات المتمردين الرئيسة جرت في بغداد والموصل ، كربلاء والنجف.

لقد تكبدت الولايات المتحدة ٢٤ قتيلاً و٦٠ جريحاً في هجوم واحد على خيمة الطعام في الموصل في ٢١ كانون الاول، كما قتل نحو ٦٨ عراقياً في هجومين في كربلاء والنجف قبل ذلك ببضعة ايام، كما جرح نحو ١٧٥ شخصاً. ان المثلث السني، وهو المنطقة الموازية لنهر دجلة، او "مثلث الموت" جنوبي بغداد هي من المناطق التي تشهد نشاطاً مكثفاً للمتمردين فيما يبقى الاستقرار في المدن الشيعية والكردية غير مؤكد.

يتوجه لعراق الى ثلاثة انتخابات خلال عام ٢٠٠٥:- الانتخاب التشريعي في الثلاثين من كانون الثاني، الاستفتاء على الدستور، والانتخابات الوطنية الشاملة نهاية العام. وسيكون للمتمردين الباعث لخلق فوضى سياسية قدر الامكان، اضافة الى استمرار هجماتهم على الحكومة العراقية، الاقتصاد، الانتليجينسيا، قوات الامن وقوات التحالف.

ليس هناك من سبيل لتحديد مدى تساوق تطوير القوات العسكرية والأمنية العراقية مع تطور قوات ذات فاعلية للحكومة العراقية. على أية حال، فان المقارنات العددية لا جدوى منها. ان نسبة قوات الامن الى عدد المتمردين يجب ان تصل الى مستوى ١:١٢ صعوداً الى نسبة ١:٣٠ لتوفر الامن في منطقة معينة، بينما في حالات اخرى، فان عدداً صغيراً من قوات الأمن بامكانه القضاء على حركة او خلية وإنهائها مع ذلك فان القيم المعنوية مثل معركة الادراك السياسي والفوز "بالقلوب والعقول" تعد اكثر حسماً من عدد المتمردين او المدافعين.

بعض الاشياء تبدو واضحة. ان قوى التهديد قد تطورت، مثلما تطورت القوات العسكرية والامنية العراقية. لقد تنامى المتمردون والارهابيون في القدرة والحجم، بالرغم من ان المعارك في الفلوجة والموصل وسامراء قد قللت من قدراتهم عند نهاية العام. كما ان المتمردين قد تعلموا كثيراً كيفية استعمال اسلحتهم واعداد عبوات ناسفة متطورة، والتخطيط للهجمات والكمائن وتحسين امنهم، وتحديد ومهاجمة الاهداف "الناعمة" وتلك التي ذات تأثير سياسي واعلامي.

الدور الغالب للمتمردين العرب السُنة

يبقى العراقيون السنة يهيمنون على التمرد بدرجة كبيرة.

هنالك قرابة ٣٥ جماعة عربية سنية قد اعلنت او ادعت مسؤوليتها عن هجمات تمردية او ارهابية بالرغم من ان العديد من هذه الجماعات تتكون من بضعة خلايا، وبعضها يسعى الى تحويل اللوم عنه او ليصور ان حركة التمرد هي اكبر مما هي في الحقيقة. ان الاغلبية الساحقة للذين قتلوا او اعتقلوا كانوا من العراقيين السنة ويشكل السنة نسبة ٩٠-٩٥٪ من مجموع المعتقلين.

لقد عانى هؤلاء المتمردون من هزائم تكتيكية مهمة منذ بداية عام ٢٠٠٤، خاصة في بغداد وسامراء والفلوجة والموصل. ومع ذلك فان محاولات القوات الامريكية والعراقية للقضاء على التمرد كان لها تأثير محدود. ليس هنالك من دليل على ان عدد المتمردين يتناقص نتيجة لهجمات قوات التحالف حتى الان. ان عدد هجمات المتمردين كانت عالية باستمرار منذ ربيع عام ٢٠٠٤، مع ان الاسلوب يتقلب مع الوقت.

لقد أصبحت عناصر التمرد أكثر خبرة ، تكيفت تكتيكاتهم وطرقهم في الهجوم بذات السرعة التي تجابههم بها قوات التحالف. قوات التحالف ذكرت ان المتمردين في الفلوجة استخدموا سلاح آربي جي مطوراً لمجابهة العربات المصفحة. وأظهرت المعارك في ايلول- تشرين الاول عام ٢٠٠٤ انهم يطورون شبكات ذات قيادة مركزية، في التخطيط والتمويل.

يعمل المتمردون مع عناصر إجرامية للقيام بحملات نهب وتخريب فعالة. لقد ادرك المتمردون وحلفاؤهم المجرمون محدودية قدرة قوات التحالف على تغطية مناطق معينة. العديد من أساليب قوات التحالف والحكومة العراقية ونشاطات القوات العراقية يمكن إدراكها بسهولة وبالتالي يمكن التنبؤ بها يمكن مراقبة القواعد وهي غالباً عرضة لهجوم عند مداخلها، وعلى امتداد خطوط تموينها وهنالك العديد من المرافق المعزولة التي تعد اهدافاً ناعمة نسبياً. يسهل التسلل الى مشاريع منظمات الاغاثة واستهدافها عند اكمالها. ان المنظمات الانسانية غير الحكومية ومقرات المقاولين تسهل مراقبتها واستهدافها. البنية التحتية ومنشآت الطاقة هي اهداف مثالية، وخطوط الانابيب والأسلاك الكهربائية الطويلة عرضة للهجوم. وكذلك الحال مع عمال الطوارئ والفرق الطبية. ان البلاد ملأى بالاهداف "الناعمة" والمعرضة للهجوم وبامكان المتمردين اختيار هذه الاهداف عند رغبتهم، والتجربة علمت المتمردين والارهابيين الشيء الكثير.

ان المشكلة واسعة جداً. ان للمتمردين مصادر جيدة داخل الحكومة العراقية المؤقتة وقواتها، وفي داخل المجتمع العراقي، وبعض الاحيان داخل القيادة الامريكية المحلية. ان هذا الامر لا يمكن تفاديه، ويمكن عمل القليل لايقافه. يفتقد العراق الى المصادر والمعلومات الملائمة للتحقق من جميع الافراد العاملين في الحكومة. ان العديد من العراقيين يعملون في الحكومة او في القوات العسكرية لانهم لا يجدون عملاً في مكان آخر، او لأنهم يتعاطفون سراً مع المتمردين . كما يصعب التحقق من العاملين في المرافق الامريكية والحكومية وفي العديد من مشاريع الاغاثة والبناء.

ان الذين يدعمون الحكومة يكونون عرضة للتهديد، الخطف، وقتل الاصدقاء والاقارب لقد تحسن اداء المخابرات البشرية الامريكية لكنها اصيبت بضرر بالغ- كما هي حال العسكريين المدنيين- بسبب التبديل والتناوب المستمر. اغلب الشبكات العراقية التي تقدم خدماتها للامريكيين من مناطق معادية، تعوزها الكفاءة ومشاكل الولاء، بينما هنالك آخرون يستغلون مناصبهم لتحقيق بعض النجاح او يمدون قوات التحالف بمعلومات مضللة.

ان المتمردين السنة ينقسمون الى خليط معقد من الوطنيين السنة، والمناصرين للبعث والنظام السابق، والعراقيين الاسلاميين السنة، ومتطرفين اسلاميين من الخارج، ومتطوعين اجانب دونما تنظيم، وبعض المجرمين المأجورين او المدفوعين سياسياً. اغلب هذه المجموعات تبدو منظمة وتتألف اطرها من خلايا صغيرة نسبياً، بعض الخلايا تتكون من شخصين او ثلاثة . هؤلاء بامكانهم تجنيد آخرين او استدعاء مجاميع كبيرة، لكن خسارة شخص من هذه الخلايا مهما كان مهماً، فان ذلك لا يعيق عمل المجموعة المعنية، وهنالك مجاميع سنية عديدة تعمل في اغلب المناطق.

ليس هنالك من تقدير يركن اليه لاعداد هؤلاء المتمردين ، او تصنيفهم وفقاً للدوافع او الانتماء لمجموعة ما. ليس هنالك من استطلاعات حديثة تقدم لنا صورة واضحة عن مدى دعم العرب السنة لهؤلاء المتمردين، مع ان بعض استطلاعات شبكة ABC الاخبارية اشارت الى ان النسبة كانت اكثر من ٣٣٪ في ربيع عام ٢٠٠٤، ان العديد من رجال الدين السنة صاروا داعمين اكثر للتمرد منذ ذلك الوقت. وان معارك مثل الفلوجة قد ساهمت في استقطاب الرأي العام السني.

لقد واصل المسؤولون الامريكيون في اعادة تقديرهم للقوات الاجمالية للمتمردين بنحو ٥٠٠٠ متمرد منذ خريف ٢٠٠٣ حتى صيف ٢٠٠٤،

في تشرين الاول، اصدر المسؤولون الامريكيون تقديراً بان عدد المتمردين يتراوح من ١٢،٠٠٠ الى ١٦،٠٠٠ لكنهم لم يحددوا كم هو الحجم المركزي للمتفرغين او الذين يعملون بشكل جزئي، وقال الخبراء الامريكيون ان هذه الارقام هي مجرد تخمين . وكان المسؤولون الامريكيون حذرين في الاشارة الى ما إذا كان عدد المتمردين في ازدياد او نقصان مع الوقت نتيجة لعمليات القوات الامريكية والعراقية مقابل الزيادة في التوترات السياسية التي قادت العراقيين السنة الى الانضمام للمتمردين.

بينما تحدث بعض الامريكيين عن معركة الفلوجة في تشرين الاول ٢٠٠٤ كونها نقطة انقلاب، إلا ان بعض الخبراء الامريكيين يتشككون في ذلك. ان الضباط الامريكيين يشعرون بان المتمردين خسروا ملاذاً رئيساً، وتكبدوا اكثر من الف قتيل، وخسروا اعداداً كبيرة وقعوا في الاسر. كما انهم فقدوا العديد من القادة والعناصر. ويبدو ان العديد من المتمردين وقادتهم كانوا قد غادروا الفلوجة قبل بدء المعركة، وفر العديد منهم أثناءها.

كانت جماعات مختلفة من المتمردين قادرة على شن هجمات في مناطق مثل الموصل والرمادي وسامراء وبعقوبة وبلد وبيجي وتلعفر والحويجة اثناء القتال في الفلوجة، كما لو انهم خططوا لتشتيت وتحويل مجرى العمليات قبل بدء المعركة في الفلوجة. القتال في الموصل كان شرساً على وجه الخصوص، وذكرت المصادر العسكرية الامريكية ان مجموع الهجمات بلغت ١٣٠- ١٤٠ هجوماً في اليوم. بينما استولت القوات الامريكية والعراقية على اعداد كبيرة من الاسلحة والمعدات، الا ان الخبراء يشعرون بان المتمردين لا يعانون من مشكلة الامدادات مشيرين الى الكم الهائل من الاسلحة والاعتدة التي خلفها الجيش العراقي وتم نهبها خلال الحرب التي اطاحت بصدام حسين وما بعدها.

يبدو ان العديد من جماعات التمرد السنية تتمتع باستقلالية عالية، لكن من الواضح ان العديد منها تتعاون في بعض العمليات، وبعضها يمتلك قيادة مركزية فعالة. السؤال الخطير هو مدى التاثير الذي تملكه الجماعات البعثية .

يعتقد المسؤولون الامريكيون والعراقيون- مثل قائد القوات الجنرال كيسي ووزير الدفاع العراقي حازم الشعلان- ان القادة البعثيين في سوريا ينسقون مع العديد من المتعاطفين مع البعث.

ان هذه لجماعات البعثية ليست من (انصار النظام السابق) بل وطنيون سنة اشتركوا في الصراع من اجل السلطة. وهذا ما يسمح لهم بتوسيع قاعدتهم واقامة علاقات مع الجماعات الاسلامية. انهم يحققون فائدة من انهم بدأوا تنظيم انفسهم على مستوى اولي قبل بدء الغزو، ومن ثم احكموا تنظيمهم وتخلصوا من الاعضاء المشتبه بهم وطبقاً الى احد التقارير، عقد هؤلاء اجتماعهم الرئيس في الحسكة في نيسان او آيار عام ٢٠٠٤ لتقوية تنظيمهم، ومن قادتهم الميدانيين محمد يونس الاحمد، وهو مساعد سابق لصدام حسين وسبعاوي ابراهيم الاخ غير الشقيق ومدير الامن السابق. كما استفادوا من حقيقة ان العناصر الرئيسة لقيادة الفيلق الخامس كانت لاتزال موجودة في الموصل.

يتحدث الخبراء الامريكيون عن شبكات غير رسمية ، تستخدم ادوات مثل الانترنيت لتنسيق العمليات وتبادل المعلومات حول التكتيك، والا هداف والعمليات. وهنالك دليل على ان تبادلاً للمعلومات قد تم بين خلايا ومجموعات في العراق وجماعات خارجية تشمل تلك المتواجدة في افغانستان . جماعات التمرد تستفيد من الاعلام للحصول على معلومات حقيقية حول ما تقوم به خلايا وجماعات اخرى ولتكتشف أي الأساليب تحدث تأثيراً سياسياً واعلامياً اكبر.

تتركز جماعات التمرد السنية في المناطق ذات الاغلبية السكانية السنية مثل (المثلث السني) ومحافظة الانبار الى الغرب من بغداد، و (مثلث الموت) جنوب شرقي العاصمة. وبالنتيجة، هنالك اربع محافظات تشكل تهديداً وحضوراً رئيساً لقوى التمرد. لقد اظهر المتمردون السنة وعلى نحو متكرر منذ معركة الفلوجة قدرتهم على توجيه ضربات في المدن المختلطة او ذات الاغلبية الشيعية مثل بغداد، الموصل ، البصرة، كما نشطوا في المناطق الكردية. ليس هنالك من محافظة سالمة من الهجمات العرضية لكن الهجمات هي فقط جزء من الحكاية.

هنالك تخريب مستمر لاهداف رئيسة مثل منشآت النفط العراقية، وحملة تخويف وارهاب متواصلة، اختفاءات وعمليات قتل غامضة. هنالك مدن من المفترض ان تحريرها قد تم قبل معركة الفلوجة ، مثل سامراء، كانت مصدراً لهجمات مستمرة لغرض نقل ونشر اعداد كبيرة من قوات الامن والشرطة العراقية وعناصر رئيسة من وحدات مكافحة التمرد الامريكية مثل وحدة المهمات الخاصة ١- ٢٦

وكما هي الحال في العديد من التقارير المختلفة، لم تعد الولايات المتحدة توفر معلومات تفصيلية عن انواع الهجمات وتواترها، او حتى عن مواقعها . المنظمات الخاصة التي تحاول اصدار هكذا تقارير توفر لنا نتائج مثيرة للاهتمام لكن النتائج غالباً ما تكون مشبوهة.

ما قالته المصادر الامريكية هو الآتي:

- هنالك حوالي ٤٠- ٦٠ مدينة وبلدة كانت مسرحاً للهجمات كل اسبوع منذ آب الماضي. العديد منها يقع خارج المثلث السني ومحافظة الانبار.
- ان المدينة الاكثر عنفاً تبعاً لعدد الهجمات الرئيسة كانت بغداد، التي شهدت ٢٠ -٤٠ هجوماً في الاسبوع.
- الموصل تحتل المركز الثاني بـ ٤-١٣ هجوماً رئيساً في الاسبوع.
- مستوى الهجمات في البصرة كان منخفضاً نسبياً، لكن ذروتها كانت ٧ هجمات اسبوعياً في البصرة والمناطق المجاورة.

لكن المشكلة الاكبر هي ان جماعات التمرد السنية المختلفة لاتمتلك اجندة قابلة للتفاوض، فليس بامكانهم ارجاع حكم العرب السنة او البعث، لايمكنهم استعادة مستوى السيطرة السابقة، او الثروة والنفوذ الذي كانوا يملكون. لايمكنهم اقامة الشكل العلماني للحكم الذي كان موجوداً ايام صدام حسين، او اعادة تأسيس عراق ينظر اليه العرب بانه دولة "سنية".

ان ادراك هذه الحقائق السياسية قد يدفع بعضهم الى العملية السياسية غير العنيفة في العراق. عملياً، ومع ذلك، فأن هكذا جماعات تمتلك رؤية لما تعارض افضل منها رؤيتها لما تعمل عليه، وتمتلك اهتماماً محدداً للبراغماتية القائمة على الواقعية السياسية. اما الآخرون فهم مستعدون لعمل كل شيء، وبعض الاحيان أي شيء، لطرد قوات التحالف وضرب العملية السياسية السليمة بغض النظر عن الضرر الذي تلحقه بالعراق وبالمناطق السنية. البعض يتحرك نحو الانضمام الى اكثر الجماعات الاسلامية تطرفاً. ليس هنالك من حدود واضحة لرغبة بعض المتمردين السنة الى التصعيد حتى لو كان ذلك يعني جر البلاد الى حرب أهلية لا يمكنهم الانتصار فيها. آخرون يسعون الى التصعيد كلما زاد التهديد الموجه ضدهم. ويبدو مؤكداً ان العديد من قادة وعناصر جماعات كهذه لا يمكن اقناعهم، بل الحاق الهزيمة بهم.

غدا الحلقة الخامسة..

الجماعات الاسلامية والمتطوعون الاجانب